القسم الثالث

وثيقة : أى الاثنين أقدر . . . ؟ !

عرض . . ونقد

أى الاثنين أقدر ؟ عيسى أم محمد .. ؟ ! !

لقد استباح واضعو هذه الوثيقة لأنفسهم فى التهجم على رسول الإسلام محمد ابن عبدالله - ﷺ - ما لم يستبحه « واضعو الوثيقتين الأولى والثانية . وإن كانت الوثيقة الثانية « استحالة تحريف الكتاب المقدس » قد خطت خطوات فى هذه « الاستباحة » ولكنها لم تبلغ ما بلغته هذه الوثيقة[1] .

● **مدخل الهجوم :**

بدأت هذه الوثيقة بمدخل للهجوم على رسول الإسلام، قدمته بتمهيد أشارت فيه إلى بعض الحقائق التى يؤمن بها المسلمون والمسيحيون على حد تعبيرها . وبعد ذلك التمهيد القصير قال واضعوها[2] :

« ولكن إخواننا **المسلمون** يذهبون إلى أكثر من ذلك، فهم يضيفون أن بعد عيسي جاء محمد، وأنه خاتم الأنبياء، وأعظمهم، وأن دينه هو دين الحق، وأن من يتبعه فسوف ينجو من يوم الحساب، ويجيب المسيحيون ويقولون : لا . لأن عيسي هو خاتم الأنبياء، وأنه أعظمهم وأفضلهم، وبفضله - **فقط** - تنجو البشرية » .

ويردف واضعو الوثيقة فيقولون :

« لهذا يكون الفرق بين وجهتي النظر هو أن المسيحى يؤكد أن عيسى هو خاتم الأنبياء، فى حين أن المسلم يصر على العكس أنه محمد .. فلماذا **لا نقارن بين وجهتى النظر ونتقبل أعظمهما شأنا**، ؟ ! . أ - هـ

كان هذا هو المدخل. ثم بدأت أولى خطوات الهجوم كما يأتى :

● **مرحلة الولادة :**

قارن واضعو الوثيقة بين مولدى رسول الإسلام ﷺ وعيسى عليه السلام أما مولد عيسى فهو معجزة فائقة أكسبته طهارة وقداسة .

وأما مولد محمد ﷺ فاسمع ما يقوله عنه واضعو وثيقة المقارنة.

« .. أن **محمد** ولد عن أب اسمه عبدالله، وسيدة اسمها آمنة، ولم يكن هناك شيء عظيم يبشر بولادته. وظل بعد ولادته عدة سنوات. لم تحدث خلالها معجزة،

---

(١) وضعنا فى المقدمة تعريفا وافيا بهذه الوثيقة، يحسن بالقارىء أن يعود إليها قبل الأخذ فى القراءة هنا.

(٢) سنثبت النص كما هو وارد فيها بما فيه من أخطاء لغوية ونحوية مشيرين إليها بالنقط الثقيل .

حتى بلغ الأربعين عاما، حيث ادعى نزول الملاك جبريل عليه، وتحدثه معه، ولكن حتى هذه اللحظة لم يكن هناك ما يبشر بأن محمدا سيكون نبيا من العظماء. وصحيح أن بعض الجهلة من المسلمين يروون القصص الخرافية حول ولادة النبى محمد (!) ولكن المسلم الذكى لا يجهل أنه لا يوجد فى القرآن مثل هذه الخرافات! وأن هذه الأساطير ألفت فيما بعد؟!!

ثم يتوجه واضعو الوثيقة إلى المسلمين بهذا النداء :

« فيا أيها المسلمون : أنكم تدعون أن القرآن كلام الله؟! لذلك فعليكم أن تعترفوا بأن ولادة المسيح كانت تمثل حادثا عظيما.. أن المسيحيين لا يقبلون القرآن، ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث »؟!

وحصيلة ما فى هذه الخطوة من مزاعم :

- كل من يولد من بشرين فهو وضيع آثم. ومن هؤلاء رسول الإسلام؟!
- ولادة رسول الإسلام لم تصحبها مبشرات ..؟!
- ومحمد رسول الإسلام – ﷺ لم يقم بمعجزات حتى بلغ الأربعين؟!
- رسول الإسلام أدعى أن جبريل نزل عليه وجاءه بوحي من الله ..؟!
- المسلمون أمام هذه المعجزات قسمان : جهلة يروون المعجزات حوله ...؟!
- وأذكياء يدركون أنها ضرب من التخريف لخلو القرآن منها ..؟!
- المسلمون يدعون أن القرآن كلام الله فعليهم أن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى كما جاء فيه ..؟!
- المسيحيون لا يقبلون القرآن وإنما يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث..؟!

ونواجه – الآن – النقطتين الأخيرتين – مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسي عليه السلام. ثم نقطة تنبؤ الإنجيل بها. مرجئين بقية النقاط قليلا فسيعود واضعو الوثيقة إليها – أيضًا – بعد قليل.

- **مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسى :؟!**

يطالب واضعو الوثيقة المسلمين بأن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى وقد بنوا هذه المطالبة على أساس أن المسلمين « يدعون أن القرآن كلام الله. »؟! يدعون هكذا. وما دام هذا القرآن المدعى (؟!) قد أشاد بحادث ولادة عيسى ابن مريم. فعلى المدعين، وهم المسلمون، أن يسلموا بعظمة تلك الولادة بناء على ادعائهم أن القرآن كلام الله؟!

ذلك ما يقوله واضعو الوثيقة وهم يحاورون خصومهم ...؟!

وكان أدب الجدل والحوار الموضوعى يقتضى منهم – لو كانوا حقا موضوعيين فى حوارهم – أن يقولوا « يؤمنون » بدل « يدعون » لأن الإيمان بكون الله هو الذى أنزل القرآن – هو معتقد المسلمين وليس الادعاء كما يقول واضعوا الوثيقة الشيطانية الحاقدة وقصدهم من هذا « الشطط » أو قل: الحمق والسفه. أن يحرجونا فى حلبة الصراع. وأن يكون جوابنا واحدا من اثنين وعلى كليهما فنحن المدانون.

● إذا قلنا لا نعترف بما تطالبوننا به فقد خرجنا عن تصديق وحى الله إلينا. وهذه كارثة يتمناها واضعو الوثيقة الحاقدة ..؟

● وإذا قلنا نعترف قالوا فلم المكابرة والتمسك برسول الإسلام وها أنتم توافقوننا فى عقيدتنا.. وهذا إحراج يؤدى بنا إلى كارثة أخرى يتمناها واضعو الوثيقة ..؟!

ولسنا فى هذه وتلك – يا سادة – فى موقف المجادل الذى يتخير الرد لكى يفحم خصمه. كلا والله. ولكننا قوم مؤمنون بحقيقة نعلنها دائمًا ولا نخفيها ولا نخشى عقبي الجهر بها مهما كانت منزلتها عندكم فى حسابات الربح والخسارة أن إيماننا بأن مولد عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله كان « معجزة » حقيقة لا يمارى فيها أحد.

ولن يحملنا جهل الجاهلين على التنكر لها مهما يرعوا فى أساليب المكر وحيل الاستفزاز، ومهما أنساهم حقدهم على رجل « آتاه الله من فضله، وكان فضل الله عليه عظيما » مهما أنساهم ذلك الحقد أدب الحوار وموضوعية الحديث.

إننا نؤمن بأن ولادة عيسى ابن مريم كانت معجزة. ولكنها معجزة قد صنعها الله ولم يصنعها هو. وهى دليل على قدرة الله لا على قدرة أحد سوى الله.

إننا نؤمن بجلال هذه المعجزة التى أيد الله بها عبده ومربوبه ومخلوقه عيسي عليه السلام، كما أيد غيره من الرسل بالمعجزات الباهرات. ومع إيماننا بهذا لا نضع عيسى عليه السلام إلا فى موضعه الذى وضعه فيه خالق الكائنات. عبد من عباد الله حملته سيدة بارة بإذن الله وأمر منه فعاش كما يعيش البشر فى طبيعتهم يأكل ويشرب ويصحو وينام ويشعر ويتألم وإن فضله الله على معاصريه بالوحى والرسالة..؟! ومع إيماننا بأن ولادة عيسي عليه السلام كانت معجزة .. فاعلها هو الله نؤمن بأن لله معجزات أخرى أدخل فى باب الاعجاز من المعجزة التى صاحبت ميلاده. فخلق حواء من آدم أدخل فى باب الاعجاز عند العقل من معجزة ميلاد عيسى عليه السلام.

ومعجزة خلق الله آدم أبا البشر أدخل فى باب الإعجاز عند العقل من معجزتى حواء وعيسى وإن كابر مكابرون ؟!

وكون عيسى هكذا ولد .. وكونه كان يحيى الموتى بإذن الله، ويبرىء الأكمة والأبرص بإذن الله: كونه – هكذا – فليس هو بأفضل من جميع الرسل. فضلا عن أن يكون إلاها. فالأفضلية لها معايير أخرى فى هذا المجال – كما ستعرفون – بعد قليل – وما من معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام ألا وقد أيد بمثلها أو بما هو أكثر إعجازا منها رسلا آخرين. وقد ذكرنا من هذا القدر الكافى فى غير هذا الموضع فى الرد على مقال البابا شنودة المتقدم ذكره.

فلسنا نحن الذين نطالب بالاعتراف، لأننا مؤمنون بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر، لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون وعابدون؟

وإيماننا هذا – بكلياته وجزئياته – لا مجاملة فيه لأحد، ولا رهبة من أحد، وإنما هو إيمان لحسابنا الخاص، لأننا تلقيناه من مصدر صادق أمين منصف، عن صادق مصدوق، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

ولو أننا أدرنا هذا السؤال – المطالبة بالاعتراف – على الذين وجهوه لنا. فهل نحن واجدون لديهم شجاعة أدبية يحميها رصيد صحيح من عقيدة قويمة أم الافلاس أو الشطط هو الذى سيكون سيد الموقف ..؟!

يحكى أن «بعوضة» جلست على طرف غصن من شجرة «جميز» ضخمة مترامية الأطراف. ثم أرادت أن تطير، وكانت تحسب أن طيرانها سوف يقتلع الشجرة من جذورها أو يحدث بها على الأقل – تلفا. فقالت تنصح الشجرة قبل أن تطير:

أيتها الشجرة تماسكى جيدا فقد عزمت على الطيران ..؟!

وكان رد الشجرة: وعلى أى وريقاتى أنت تجلسين ..؟!

وصدق الله العظيم القائل:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا *

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء : ١٧١ - ١٧٣] .

● **تنبؤ الإنجيل بولادة عيسى ..؟!**

لا تستغرب - أخى القارىء - من هذا العنوان، ولا تسىء الظن بنا أننا لم نفتره على واضعى وثيقة الحقد. فإن نصهم يقول بالحرف الواحد :

« أن المسيحيين لا يقبلون القرآن، ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث... ».

وموضع هذا النص هو الحديث عن عظمة ولادة عيسى. بل أن واضعى الوثيقة الحاقدة أشاروا إلى موضع ورودها فى الإنجيل[1]. فهاهم إذن يقولون أن الإنجيل تنبأ بذلك الحدث. أى ولادة عيسى عليه السلام ..؟!

وهذا كلام إن أخذته بالطول وجدته غير مستقيم. وإن أخذته بالعرض وجدته غير مستقيم. وأن أخذته بالطول والعرض معا وجدته غير مستقيم.

كيف ...؟!

لأن التنبؤ بشىء معناه الإخبار بأمر سيكون قبل أن يكون، ولا معنى للتنبؤ غير هذا فى أية لغة يعرفها الإنسان، لأن تنبأ: تفعل أى تعاطى النبأ قبل أن يكون. وهو قريب من « تصنع » الشىء تكلفه لأن الأصل فى الإخبار أن يكون عما كان. فإن كان عما يكون فهو تنبؤ وليس بإخبار قطعا.

وعلى هذا فإن « المتنبىء » لابد أن يكون سابقا فى الوجود على « المنبأ به » ضرورة.

وتطبيق هذا القانون على ما نحن فيه محتاج إلى هذا البيان:

أولاً : ولد عيسى عليه السلام ثم نشأ كما نشأ الأطفال حتى بلغ رشده.

ثانيا: أنزل الله وحيه على عيسى وأرسله رسولا إلى بنى إسرائيل. ووحى الله إلى عيسي هو المسمى « الإنجيل » كما سمى وحى الله السابق عليه على موسى « التوراة » وسمى وحى الله النازل على محمد ﷺ « القرآن » وهو آخر وحى لله.

وبعد هذا البيان نسأل واضعى وثيقة الحقد :

---

(١) إنجيل لوقا الاصحاح الأول الآيات (٢٨ - ٣٦) من العهد الجديد.

كيف يتنبأ الإنجيل – إذن – بولادة عيسى، وعيسى عليه السلام كان قبل أن يكون الإنجيل ؟

أيهما أسبق يا قوم عيسى أم الإنجيل ؟! قطعا لن يكون جوابكم أن الإنجيل أسبق وجودا من عيسي. مع أن هذا هو شرط التسليم لكم بهذا التنبؤ ..؟!

فإن قلتم أن الإنجيل أسبق ليصح لكم هذا التنبؤ. كنتم كمن يقول الأرض « فوق » والسماء « تحت » ومصير القائل بهذا معلوم؟! وإن قلتم – ولابدأنكم قائلون – أن عيسى – عليه السلام – أسبق فإن دعوى تنبؤ الإنجيل بولادته،تظل أكذوبة الأكاذيب؟!

وما دام عيسي عليه السلام كان أسبق وجودا من الإنجيل فحديث الإنجيل عن ولادته إنما هو تسجيل لحادث وقع كما تسجل « الوثائق التاريخية » وقائع التاريخ ولا مفر من هذا القول لأنه هو التعبير الحق المصار إليه.

وإذا وصلنا إلى هذه « الدرجة » فإننا نقول لكم:

إن القرآن الحكيم قد سجل حادث ولادة عيسى عليه السلام باعتباره حدثا عجيبا فيه لله معجزة. فهو لم يقصر فى هذا الشأن.

فعلى أى وجه إذن التفرقة بين القرآن والإنجيل – هنا – بأنه أحدهما تنبأ بها « الإنجيل » ولذلك فإن المسيحيين يتقبلونه. ولكنهم لا يقبلون القرآن.

أليس فى هذا ظلم منكم للقرآن وهو لكم منصف أمين ؟!

● **الناحية الفكرية :**

وكانت الناحية الفكرية – على حد تعبير الوثيقة – هى الخطوة الثانية فى الهجوم على رسول الإسلام. يقول واضعو الوثيقة فى وصف رسول الإسلام « نجد أنه بفعل ولادته كسائر البشر ورث محمد من البشر طبيعتهم الآثمة ... أما عيسى فكون ولادته معجزة فلابد وأنه ورث طبيعة طاهرة لا غبار عليها ... ».

ومن الغريب أن واضعى الوثيقة مع زعمهم بأن رسول الإسلام لم ينزل عليه وحى بل هو أدعى ذلك أدعاء. مع هذا فإنهم عمدوا إلى آيات من القرآن الحكيم حملوها – ظلما وحقدا – على ذم رسول الإسلام ؟! وآيات أخرى منه حملوها – تعصبا وجهلا – على مدح عيسى عليه السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل. وتلك هى المغالاة فى الدين التى نصحهم القرآن، بل نهاهم عنها كما تقدم فى سورة النساء فلم يسلم رسول السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل. وتلك المغالاة فى

الدين التى فرقت بين الرسل فى هذه الوثيقة بالنقد والتجريح والطعن وقبل ذلك ما تقدم فى كتاب « الاستحالة »[1] وما له عندهم من سبب سوى أنهم مولودون من بشرين آباء وأمهات. أما عيسى فلأنه مولود من أم بلا أب فهو سيد الجميع عند واضعى الوثيقة.

وإذا سلمنا لهم - جدلا - بأن أساس الولادة عن البشر عار يذم من أجله أنبياء الله ورسله. فإن لعيسى عليه السلام - فرضا - نصيب من ذلك الذم - لا محالة - لأنه ولد من أم بشرية. وإذا استحق محمد ﷺ، أو أى رسول آخر سوى عيسى عليه السلام ١٠٠٪ من الذم لأنه مولود من بشرين. فإن عيسى عليه السلام - إعمالا - لهذا المبدأ الغريب - ٥٠٪ من الذم على الأقل ..؟!

ومن هذا يبدو لنا واضحا مدى تجنى واضعى الوثيقة على أنبياء الله ورسله - جميعا - إذ يلزم من هذا المقياس ذمهم جميعا بلا استثناء أحد منهم، مع التفاوت - طبعا - بين أنصباء الذم، بين الـ ١٠٠٪ والـ ٥٠٪ على الفرض الذى قدمناه ..؟! لأن من لم يكن له أب منهم فله بالقطع أم ..؟!

فهل أدرك واضعو الوثيقة شناعة هذه « المقولة » وما يترتب عليها من الإطاحة برسل الله جميعا ورميهم بالنقص، وهم المصطفون الأخيار.

- **وعودة إلى المعجزات :**

وتعود الوثيقة إلى المقارنة بين الرسولين محمد بن عبد الله وعيسى ابن مريم صلي الله عليهما وسلم: من حيث المعجزات. ويقولون: أن عيسي عليه السلام قام بالمعجزات فى حين أن محمدا ﷺ عجز عن ذلك ..؟! ثم يردفون: صحيح أن المسلمين يقولون أنه قسم القمر نصفين، وعدة معجزات أخرى، ولكننا بالتعمق والدراسة نكتشف أن قصص هذه المعجزات كتبت بعد مضى قرون[2] من وفاة الرسول محمد ..؟!

وهنا يفتح القوم بابا على أنفسهم لا يستطيعون إيصاده : فليسمعوا إذن ما نقول، وإن كان عندهم من علم فليخرجوه لنا :

يا قوم إننا لن نثير معكم موضوع المعجزات المادية التى وقعت لمحمد ﷺ. وإنما نقول لكم:

---

(١) انظر (ص٤) من هذه المواجهة .

(٢) هذا طعن خفى فى القرآن لمجيء هذه الحقائق فيه، فكأنهم يقولون أن القرآن نفسه قد كتب بعد وفاته عليه السلام بعدة قرون ..؟!

إن محمدا الذى تدعون أنه لم يقم بمعجزات قط. مع أن عيسى عليه السلام قام بعدة معجزات :

فأرونا إذن أين هى معجزات عيسى الآن ...؟ صحيح أن من معجزاته – كما يقول القرآن الأمين– إحياء الموتى . فأين هم الموتى الذين أحياهم عيسى؟! أنهم ماتوا مرة أخرى ..؟!

وصحيح أنه كان يبرىء الأكمة والأبرص بإذن ربه. فأين هم الذين شفاهم عيسى عليه السلام من أمراضهم ..؟! لقد ذهبوا – جميعا – إلى الأرض التى منها خلقوا. وكان الموت هو مرض الأمراض أو جهيزة التى قطعت قول كل خطيب :

وما يقال فى معجزات عيسي، يقال فى معجزات سائر الأنبياء والرسل. ألم يلتئم البحر الذى فلقه موسى بعصاه فى نفس اليوم الذى انفلق فيه. أو لم تخمد نار إبراهيم التى جعلها الله عليه بردا وسلاما .. أو لم ينحسر الطوفان الذى غمر الأرض كلها تصديقا لدعاء نوح .. أو لم .. أو لم .. أو لم ..؟!

ومعجزات محمد عليه السلام التى هى من هذا النوع ومنها انشقاق القمر كما تقولون، أسدل الستار عنها وكأنها لم تكن. لأن هذه المعجزات جميعا أدت المراد منها فى حينها وعند مشاهديها أو معاصرى مشاهديها لأن الخبر بها إذ ذاك بلغ حد التواتر: ثم أصبحت – بعد – خبرا من الأخبار. يصدق بها من يؤمن بالله صانعها لأنه يثبت له قدرة لا تعجز. ويتشكك فيها أو ينكرها من خلا قلبه من الإيمان أو ضعف إيمانه فى قلبه. أما استمرارها أو اعادتها فهو فى علم الله محظور محظور لأن الله لا يجريها إلا على يد رسول، وقد انتهى عصر الرسالات ...؟!

ولكن محمدا ﷺ، يتكلم وقد سكتت الرسل. وتبقى له معجزة المعجزات، وقد ذهبت كل المعجزات.

إن معجزة محمد ﷺ الباقية الخالدة خلود رسالته وخلود السموات والأرض هى : القرآن العظيم: المتلوة بكل لسان المحفوظة فى الصدور. التي لم ينل من الدهر، جديدة دائمًا، ظاهرة دائمًا يشهد لها بالفضل الأعداء قبل الأصدقاء. والمخالفون قبل الموافقين. إعجازها يدرك من بنائها وتركيبها، ومعانيها وهدايتها، واتساقها مع الفطر السليمة وموافقتها لمعطيات المعارف والعلوم، وشرحها لمظاهر الكون، وتقريرها لنواميس الحياة. تغدو وتروح فى سمو وشموخ كالشمس أو هى أثبت ظهورا لأن الشمس تشرق وتغرب وهى مشرقة أبدا لا غروب لها. سامية فوق كل نقد، مهيمنة فوق كل بيان .

قصت القصص فصدقت. وأرشدت إلى الحق فأصابت، وقررت فأحكمت، وأشارت إلى حقائق العلوم فوافقت. وها هى ذى تتحدى العصور والدهور فلا يزداد الفاقهون لها إلا يقينا، ولا الباحثون فيها إلا ثقة. لغتها لغة كل عصر، وهداها هدى كل حال، تتألق بالحق ويتألق الحق بها: تقنع العقول. وتمتع العواطف. وتغذى الوجدان، وتحفظ للإنسانية رصيدها الضخم من هداية السماء حيث لا أمين عليها غيرها ولا حارس لها سواها.

تلك هى معجزة محمد ﷺ الباقية ما بقى الدهر. فأرونا معجزة لرسول بقت بعد انتهاء دوره على الأرض، صالحة للفحص والدرس «الحضورى» .. أنه لا سبيل إلى ذلك إذا كان الرسول غير محمد. أما أن كان الرسول محمد ﷺ فنقول نعم أننا جاهزون. وتلك هى معجزته الصالحة للفحص والدرس الحضورى فأفحصوها وادرسوها، فإن كان الهدف هو الوصول إلى الحقيقة المجردة. فسترونها – بعد الفحص والدراسة الحضورية – محمدا الرسالة والرسالة ..؟!

● **وشهد شاهد من أهلها :**

فإن قلتم أن لنا بازاء القرآن كتابا مقدسا؟ قلنا لكم .. لا .. دعوا أمر هذا الكتاب المقدس فأنكم أول من تشكك فيه واتهمه بالزيادة والنقص وروايات الخيال والهوى والتناقض والتنافر ومجافاته للحقائق الإيمانية والعقلية.

وقد بدأ هذا الشك أو التشكك لديكم فى الكتاب المقدس منذ عهد الأب أوغسطين فى عصر ضارب فى القدم، فكان عند مطالعته التوراة يصطدم ببعض المشكلات النصية فيحتال على تبرير بعضها، ويرجع ما لا حيلة فيه إلى سبب إنسانى[1]، وحين تقدمت المعارف الإنسانية، وكونت الثقافة العقلية مزاجا فكريًا عنيداً لدى بعض المثقفين الإنجيليين واصطدموا بما تقرره بعض نصوص الإنجيل من حقائق تأباها حقائق العلم الحديث أدرك بعض الآباء خطورة هذه المشكلة، ومنهم الأب روجى – والنقل هنا من كتاب «دراسة» الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة – والأب روجى قد نصب نفسه للرد على قراء الإنجيل. ولكنه حتى مع تلك

---

(١) ننقل هذه الحقائق من كتاب «الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» تأليف الأستاذ موريس بوكاى الفرنسى الأصل. (طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٧) . مترجمة إلى اللغة العربية .

المحاولات من جانبه ، فإنه يعترف كما يقول الأستاذ موريس بوكاى – أن فى الأناجيل نصوصا مبهمة غير مفهومة بل حتّى متناقضة وعبثية أو فاضحة »[١] .

ويقرران معا : الأب روجى وموريس بوكاى . أن القراءة الكاملة لنصوص الأناجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين »[٢] .

ويقول الأستاذ موريس، وهو ما يزال على عقيدته النصرانية[*]، أنه فى دراسته الثانوية فى مدرسة كاثوليكية لم يكن يسمح لهم إلا بقراءة مقاطع مختارة من الأناجيل، وأنه بعد الوقوف على خطورة المشكلات التى تترتب على قراءة النصوص الكاملة للأناجيل، أدرك السر فى عدم اعطاء مدرسيهم لهم واجبات واسعة من الكتب المقدسة المسيحية . والسر كما يفصح عنه الأستاذ موريس هو أن تلك الكتب كان يمكن أن تقود الطلاب إلى طرح أسئلة على أساتذتهم يكون الرد عليها محرجا[٣] . . . ؟!

وينقل الأستاذ موريس رأى الأب كانينجر الذى يقول فيه : لم يعد واجبا الأخذ بحرفية الأحداث الواردة فى الأناجيل عن السيد المسيح، فهى كتابات « ظرفية » أو « خصامية »[٤] ؟!

ويقول : ا. كولمان فى كتابه « العهد الجديد » فى نهاية حديث طويل أنهاه بقوله :

« أن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات بصيغ أسلوبية غامضة مثل : وبعد هذا، وما أن إلخ . وبالاختصار اطار الأناجيل المتوافقة كل هذا أدبى الطابع وليس له أساس تاريخى »[٥] .

ويوازن الأستاذ موريس بوكاى بين وجهة النظر عند هؤلاء الكتاب : روجى وكولمان، وكانينجر وغيرهم فى الاعتراف بهذا التناقض الذى تحفل به الأناجيل وبين وجهة نظر المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى فى دستوره العقائدى عن التنزيل، والذى أعد فيما بين عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٥م وقد جاء فيه :

« أن كنيستنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائمين أن هذه الأناجيل الأربعة[٦] التى تؤكد تاريخيتها دون أى تردد . تنقل بشكل أمين فعلا أقوال

---

(١) نفس المصدر ص ٦٥ .
(٢) نفس الموضع .
(٣) المصدر نفسه (٦٥) .
(٤) المصدر نفسه ص ٦٨ .
(٥) المصدر نفسه ص (٧٧) .
(٦) متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .

(*) هذا كان حين صدور الطبعة الأولي من كتابنا هذا عام ١٩٨٠م. ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه .

وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدى وإلى أن رفع إلى السماء..»[1].

فالكنيسة - إذن - تختلف جذريا مع أولئك الكتاب ولكن الأستاذ موريس ينتصر لرأى الكتاب فيقول:

«إذا نظر القارىء إلى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجامعى التراث الشفهى[2] المنتمى إلى مختلف الجماعات. وإذا نظر إليها القارىء على أنها كتابات ظرفية أو خصامية[3]، فإنه لن يدهش عندما يجد فى الأناجيل كل هذه العيوب التى هى علامة صنع الإنسان فى مثل هذه الظروف»[4].

● **أمثلة من الواقع:**

وكفانا ما تقدم من أقوال فى الوصف العام للأناجيل، مدحا أو قدحا فإن الذين تشككوا أن يكون ما فى الإنجيل «الهيا» أو حقيقة واقعة حملهم على ذلك التشكك وقائع وقفوا عليها فى الأناجيل أنفسها ونحن نذكر منها ما قالوه هم ولا نضيف شيئًا إليه، لأن هدفنا هنا أن نبين آراءهم هم فى كتابهم المقدس.

ويأتى على رأس تلك «المحيرات» مسألة نسب المسيح. ويتنبه الأستاذ موريس إلى حقيقة يشترك فيها كل مطلع على إنجيلى متى ولوقا. ذلك أنهما اهتما ببيان نسب المسيح. فنجد لوقا يبتدىء النسب من آدم حتى يصل به إلى يوسف النجار خطيب مريم.

ومتى يبتدى النسب من إبراهيم ويصل به إلى يوسف النجار أيضًا. وإذا أغمضنا النظر عن الاختلافات الجوهرية فى شجرتى النسب عند متى ولوقا فإن هناك مشكلة صعبة الحل جدا وهى:

أن عيسى عليه السلام ولد من أم «مريم» بدون وساطة لقاح أب فكيف إذن يستساغ أو يقبل أن يلصق نسب السيد المسيح برجل لم يعاشر أمه معاشرة زوجية قط. إنها مشكلة صعبة وحاشى أن يكون المسيح هو مملى هذه الشجرة لأى منهما فيدعى لنفسه أبا ليس هو أباه وليس له بأمه علاقة يكون ثمرتها هذا النسب.

---

(١) نفس المصدر ص ٧٩.

(٢) اشارة إلى أن الأناجيل كتبت عن الرواية الشفهية بعد المسيح بزمن.

(٣) معنى الظرفية والخصومية هنا: الاهواء التى كانت تسيطر على مشاعر محررى الأناجيل.

(٤) دراسة الكتب المقدسة: المرجع السابق ص ٧٩.

ويقول الأستاذ موريس تعليقا على هذا :

« تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية والصحة . . هى مشاكل تحرج جدا المعلقين المسيحيين فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنسانى . . . وبادىء ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح . ولو كان من الضرورى إعطاء المسيح نسبا وهو وحيد أمه وليس له أب بيولوچى . فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط »(١) .

ولا نطيل بالقارىء ونكتفى بالرأى الذى انتهى إليه الأستاذ موريس بوكاى فى نهاية نقده لموضوع نسب المسيح فى إنجيلى متى ولوقا . وإليك عبارته ذات الدلالة العميقة التى أنهى بها نقده .

« لاشك أن نسب المسيح فى الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية تكافىء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى »(٢) .

ويستعرض الأستاذ موريس بعد هذا آراء الكتاب المسيحيين فى وجود الخيال والاختلاط والفوضى وعدم المعقولية فى روايات الأناجيل وخاصة فى الظواهر الآتية :

١- روايات آلام المسيح . ٢- ظهور المسيح بعد قيامته .

٣- صعود المسيح . ٤- أحاديث المسيح الأخيرة .

وأورد فى خاتمة هذا الفصل قوله :

« . . فخيالات متى » والتناقضات الصارخة بين الأناجيل ، والأمور غير المعقولة ، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث ، والتحريفات المتوالية للنصوص . كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على اصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنسانى وحده . لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجود رسالة المسيح . فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التى جرت بها »(٣) .

وأقول أن ما يقرره الأستاذ موريس هنا يتفق تماما مع عقيدة المسلم الذى لم يقل فى الإنجيل إلا ما يقوله الأستاذ موريس وأمثاله . وبهذا يتضح أن المسلم لم يتهجم على الإنجيل وإنما يضعه فى نفس الموضع الذى يضعه فيه المعتدلون المنصفون من أبنائه وشيعته .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة (ص ١٠٥) .

(٢) نفس المصدر ص (١١٦) . (٣) نفس المصدر ص (١٣١) .

فالكتاب المقدس عن هؤلاء أشبه ما يكون بعمل ملحمى روائى. تدور الصورة المجسمة فيه - ول حادثة وقعت بالفعل، ثم نماها العمل الملحمى الروائى واستولدها كثيرا من الوقائع والأحداث، بل هى شبيهة عندهم بملحمة رولان قائد جيش شارلمان الذى كانت مهمته حمايةحدوده ضد الشعوب المجاورة. لأن بين الحادثة - كما وقعت فى الحقيقة، وبينها كما يصورها العمل الروائى بونا شاسعًا. فهى واقعة صحيحة. وضخامة الرواية التى أخرجتها لا يمحو وقوع الحادثة[1].

ورسالة عيسى عليه السلام واقعة حقيقة لا يرتاب فيها مؤمن، ولكن كتاب الأناجيل أضافوا حولها الكثير مما لا تثبت صحته أمام معطيات المعرفة الحديثة والعقل الفاحص.

- **وشهد شاهد من غير أهله :**

لقد نقلنا فى إيجاز بالغ - بعض صور النقد الموضوعى الذى أبداه الأستاذ موريس بوكاى حول وقائع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، كما نقل ما انتهى عليه الرأى عند بعض الكتاب المسيحيين الغربيين، وما أثر عن بعض آباء المسيحية القدامى مثل الأب أوغسطين عرضنا كل ذلك فى إيجاز شديد وأمانة خالصة. بل أننا قررنا أننا لا نرى فى الكتاب المقدس أكثر مما يراه فيه هؤلاء المعتدلون. والآن فلنعرض فى إيجاز وأمانة أيضًا شهادة الأستاذ موريس بوكاى للقرآن. وهى شهادة عادلة ومخلصة ما كنا نطمع فيها من مثله، وإنما يبدو أن الرجل باحث مجرد من كل هوى. ولهذا فإن شهادته فى الموضعين اتسمت بالاعتدال الرائع. وإليكم البيان :

- **صحة النص القرآنى وسموه على كل نقد:**

من الأمور المهمة التى طرقها الأستاذ موريس بوكاى فى كتابه العظيم هو ثبات صحة النص القرآنى سندا ومعنى. وفى ذلك يقول:

« صحة القرآن التى لا تقبل الجدل تعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد »[2].

- يعنى التوراة والإنجيل - وقد تحدث باستفاضة عن طريق توثيق النص القرآنى فى مراحل جمعه المختلفة، وكونه كان محفوظا فى الصدور مكتوبا فى الألواح منذ لحظة نزوله حتى جمع فى المصحف الشريف.

---

(١) انظر نفس المصدر ص (١٣١) .

(٢) دراسة الكتب المقدسة : ص (١٥١) .

ويثبت فى الصفحات الأولى من كتابه المذكور سلامة النص القرآنى من حيث معناه مقارنا بمعطيات العلم الحديث، فيقول بالحرف الواحد:

«لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أى فكر مسبق، وبموضوعية تامة باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن، ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، ولكن معرفتى كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى[1] استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على آية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث».

ثم يقول مقارنا هذه الحقيقة ذات الدلالة الخاصة بما أسفرت عنه دراسته الكتاب المقدس بعهديه:

«وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أى سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا فى عصرنا»[2].

وبعد أن يورد على الأنجيل مثلما أورد على التوراة نراه يقول:

«غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة، وتلك التى لا يحتملها التصديق، وتلك الأخرى التى لا تتفق والعلم، لا يبدو لى أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر، ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية، وما نصيب الخيال والهوى فى عملية تحريرها، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص، أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة[3] وأن ما يصدمنا حقا فى أيامنا هذه أن نرى المتخصصين فى دراسة النصوص يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض من الحقائق العلمية الثابتة»[4].

---

(١) هذه العبارة تحتمل معنيين. أحدهما أن يقصد المؤلف منها القرآن نفسه. والثانى أن يكون المراد منها الاطلاع على القرآن فى لغته العربية وليس عن طريق الترجمة.

(٢) نفس المصدر ص (١٣).

(٣) يقصد: التوراة والأناجيل وملحقاتها.

(٤) نفس المصدر ص (١٤).

● **اتفاق المعارف الحديثة مع مقررات القرآن :**

وينتقل الأستاذ موريس بوكاى إلى ذكر أمثلة متعددة أستقر عليها الوضع فى المعارف الحديثة والمعاصرة، تتفق تماماً مع مقررات القرآن فيها. ونضع أمام القارىء ثبتا مجردا لتلك الأمثلة كما جاءت فى الكتاب المذكور، ثم نختار منها واحدا نذكره بالتفصيل منتهين إلى ما أنتهى إليه الطبيب والباحث المجرد الموضوعى من نتائج رائعة.

أما الثبت المجرد لتلك الأمثلة فهو على الوجه التالى :

خلق السموات والأرض – علم الفلك فى القرآن – تأملات عامة فى السماء طبيعة الأجرام السماوية – البنية السماوية – تطور العالم السماوى غزو الفضاء – الأرض – آيات ذات مرمى عام – دورة الماء والبحر تضاريس الأرض – الجو الأرضى – عالم النبات وعالم الحيوان – أصل الحياة – المادة بعض المعلومات – التناسل الإنسانى فى القرآن – القرآن والتربية الجنسية – طوفان نوح – خروج موسى من مصر . . . ».

هذه رءوس موضوعات تشير إلى بحوث ممتعة ومقنعة جدا ليس من الميسور إيجازها هنا.

● **معنى «أمشاج» فى القرآن الحكيم :**

ذكر الأستاذ موريس بوكاى ضمن الآيات التى تتحدث عن « التناسل الإنسانى » فى القرآن الحكيم قوله تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

[الإنسان : ٣]

وتحدث وهو طبيب عن معنى كلمة « أمشاج » الواردة فى الآية الحكيمة. وبعد نقله لآراء العلماء الأقدمين فيها، وهى محصورة فى اختلاط ماء الرجل بماء الأنثى، بين ما توصل إليه العلم الحديث فى هذا الشأن . فقال :

« يتشكل السائل المنوى من إفرازات مختلفة تأتى من الغدد التالية :

(أ) الخصيتان : يحتوى إفراز الغدة التناسلية للذكر على الحيوانات المنوية وهى خلايا مستطيلة مزودة بهدب طويل، وتسبح فى سائل مصلي.

(ب) الحويصلات المنوية : تخزن هذه الأعضاء الحيوانات المنوية وتقع على مقربة من البروستاتا، وتفرز إفرازا خاصاً.

(جـ) البروستاتا : وتفرز سائلا يعطى للسائل المنوى قوامه الغليظ، ورائحته الخاصة.

(د) الغدد الملحقة بالمسالك البولية، وهى الغدد المعروفة باسم كوبر، أو ميرى وتفرز سائلا جاريا، وغدد ليترى وتفرز المخاط.

تلك هى أصول هذه « المخاليط » الأمشاج التى يبدو فعلا أن القرآن يتحدث عنها[1].

ومعنى هذا أن العلم الحديث قد كشف عن المعنى الدقيق الذى أراده القرآن من كلمة « أمشاج » ولهذا فإن المعنى الذى وقف عنده القدماء وهو خلط ماء الرجل بماء المرأة يصبح متوازنا أمام حقائق العلم الحديث. فالنطفة هى وحدها « أمشاج » سواء خلطت بماء المرأة أو لم تخلط. هذا هو الصحيح لأن الكلمة نفسها جاءت فى الآية وصفها لـ « نطفة » وليس وصفا لها بعد مزجها بماء المرأة في الرحم :

- **مؤدى هذا التوافق بين العلم ومقررات القرآن :**

وقد انتهى الأستاذ موريس بوكاى من هذه الدراسة التى أثبتت التوافق التام بين مقررات القرآن ومكتشفات العلم الحديث إلى ما ينتهى إليه كل باحث موضوعى فى هذا الوحى الأمين. وندع القارىء يسمع بنفسه ما يقوله هذا الباحث المنصف.

« أن القرآن وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه، لا يخلو فقط من متناقضات الرواية، وهى السمة البارزة فى مختلف صياغات الأناجيل، بل هو يظهر أيضًا – لكل من يشرع فى دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم – طابعه الخاص، وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة : بل أكثر من ذلك – وكما أثبتنا – يكتشف القارىء فيه مقولات ذات طابع علمى من المستحيل أن إنسانا فى عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها. وعلى هذا فالمعارف الحديثة تسمح بفهم بعض آيات القرآن التى كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن »[2].

ثم يقول فى نفس الموضع :

« .. لذا فمن المشروع تماما أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحى من الله وأن تعطى له مكانة خاصة جدا حيث أن صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث أن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة فى عصرنا تبدو وكأنها تتحدى أى تفسير وضعى ».

---

(١) نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٦ .

هذا قليل من كثير مما يصف به الباحثون الموضوعيون من غير المسلمين القرآن الحكيم.

أنه وحي لاشك فيه ، سام فوق كل نقد، حق لا باطل فيه. فهل يقال بعد ذلك أن محمدا ﷺ منتحل للقرآن، أو يقال أنه لم يأت بمعجزات. وأى معجزة يتطلبها البشر تفوق معجزة القرآن المتعددة الوظائف. المستمرة فى عطائها وهيمنتها فيما توحى به وتقرر. ذلكم هو الحق فليراجع الذين يكفرون بهذه الحقيقة أنفسهم. وليعلموا أن نكرانهم لهذا الحق الأبلج ليس بضائر محمدا ﷺ . ولكن أنفسهم يضرون.

● **موت محمد ، وحياة عيسى عليهما السلام :**

هذه هى الخطوة الرابعة والأخيرة فى سلم التهجم على رسول الإسلام عند واضعى وثيقة « أى الاثنين أقدر ..؟! عيسى أم محمد ..؟! » وبالرد عليها نكون قد آنهينا واجبنا فى هذه « المواجهة » للوثائق الثلاث التى تقدم التعريف بها فى المقدمة.

وهذه هى صورة الاتهام كما يصورها واضعو الوثيقة فى قولهم. « فقد مات محمد كمثل بقية البشر، فلقد ولد مثل البشر، ومات مثل البشر.. وبعد موته دفن وفنى جسده (!) مثل أجساد بقية البشر .. ».

ثم يستشهد واضعو الوثيقة على استمرار حياة عيسى عليه السلام بالآيات الآتية:

﴿ **يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ...** ﴾ [آل عمران : ٥٥] وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام :

﴿ **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾ [مريم : ٣٣] وقوله تعالى حكاية عن عيسى أيضاً :

﴿ **وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ [المائدة : ١١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ [النساء : ١٥٧] .

ومن الغريب حقا أن واضعى الوثيقة يعتبرون الموت إحدى صور العقاب الواقع من الله على الآثمين (!؟) .

ودفعا لهذا كله نقول فى إيجاز :

أننا لا نمارى فى موت كل مخلوق بلا استثناء أحد ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧].

فرسول الله محمد ﷺ مات. أى نعم، مات كما مات من قبل رسل الله. ولكن موت محمد ﷺ لم يكن عقابا وقع عليه من الله لأنه آثم (!) بل لأن هذه هى سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا.

وعيسى أمات أم هو مازال حيا؟! ونشطر الحديث هنا ثلاث شطرات بحسب الأديان السماوية الثلاثة المعروفة الآن. اليهودية – المسيحية – الإسلام.

أما بالنسبة لليهودية فإن اليهود لا يعترفون – قط – برجل أسمه عيسى أو المسيح أرسل إليهم من عند الله – لقد خلت كل وثائقهم الدينية من الإشارة إليه كما يعترف بذلك الفيلسوف اليهودى دلفنسون بل أنه ليقول أن اليهود تعمدوا حذف ما يختص بعيسى عليه السلام من وثائقهم التاريخية حتى لا يسبب لهم ذكره مضايقات من اتباعه النصارى. ولهذا فإن يوسف القائد خلا تاريخه من النص عليه، وقد كتب تاريخ يوسف القائد عام ٧١م [١].

إذن فمسألة حياة المسيح أو موته لا وجود لها فى الديانة اليهودية؟!

وأما النصرانية فاعتقادهم الجازم أن المسيح قتل وصلب بيد اليهود فهو إذن قد مات مقتولا مصلوبا. فإذا وازنا بين موت محمد ﷺ، وبين موت عيسى عليه السلام – كما يعتقد النصارى – ثم جاريناهم فى أن الموت عقاب فإن شدة العقاب الواقعة على عيسى تفوق بأضعاف مضاعفة نوع العقاب الذى وقع على محمد صلى الله عليهما وسلم فكلاهما مات. وأن كان الموت واحدا فإن الطرق المؤدية إليه مختلفة فعيسى – على عقيدتهم – مات مصلوبا قتيلا – أما محمد عليهما السلام فقد مات موتا عاديًا.

أن هذا الفرض يلزمهم بلا ريب إعمالا لمقياسهم الذى وضعوه أساسا فى المفاضلة.

ولن يستطيعوا أن يقولوا أن عيسي لم يصلب ولم يقتل. لأنهم لو قالوا هذا لما بقى لديهم من النصرانية شيء قط. فما النصرانية إلا صلب وقتل ؟!

---

(١) أنظر قصص الأنبياء للأستاذ النجار.

وإذ كان الواقع – لديهم – هو ذاك فعلام – إذن – يتخذون من محمد رسول الإسلام – ﷺ – منفذا للطعن فيه – أسلب القوم عقولهم ؟!

أم توهموا أن عقولنا هى المسلوبة . . ؟!

وأما الإسلام فإن الأمر فيه مختلف عن اليهودية والنصرانية معا فعيسى عليه السلام حدث له أمران : توفية ورفع، ولكن أيهما أسبق هنا يأتى الخلاف :

فرأى يقول – وهو الأصوب والذى تؤيده النصوص – أن الله توفاه ثم رفعه .

ورأى يقول : أن الله رفعه . وهل توفاه فور الرفع، أم هو مازال حيا لم يمت . وسوف يموت قبل البعث . رأيان فى هذا الشأن .

والذى تنصره النصوص هو أن الله توفى عيسى ثم رفعه . لقول تعالى : ﴿ **مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ .

والواو وأن كانت لمجرد العطف فاحتمال الترتيب فيها بين متعاطفيها إحدى دلالاتها : ويقوى إرادة الترتيب هنا قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام، « كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » ولو كان الرفع هو الذى حدث بلا وفاة لما صح قوله : « فلما توفيتنى » بل لقال : « فلما رفعتنى » وهذا لم يحدث فدل على أن الموت كان هو الأسبق من الرفع[1] .

أما مسألة ادعاء النصارى – كما يعبر عنها واضعو الوثيقة بأن المسيح قام بعد ثلاثة أيام من قتله وصلبه . فهذا مدفوع بإحدى الآيات التى ارتضوها شاهدا لهم على ما يقولون وهى « السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

وما دام واضعوا الوثيقة قد ارتضوا هذه الآية شاهدا فليسمعوا دلالتها إذ هى تهدم كل ما بنوه من أصل عقيدتهم : وهى :

أن المسيح قتل وصلب فداء للبشرية، ثم قام من قبره فجر الأحد وهو اليوم الثالث لقتله وصلبه . ومن هذا أخذ النصارى شارة الصليب، وعيد القيامة المجيد .

ونحن نقول لهم إن هذه الآية تنفى أن يكون المسيح قد قام من قبره على التسليم لكم بأنه قد قتل وصلب، لأنها تفيد أن للمسيح يوم ميلاد واحد ويوم موت واحد، ويوم بعث واحد، فليس له ميلادان ولا موتان ولا بعثان . وتأملوا معنا جيدا . . **يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حيا**[2] .

---

(١) أطمع أن يكون هذا الفهم توجيها جديدا لهذه المسألة إذ لم أره لأحد !

(٢) وأطمع أن يكون هذا من الجديد فى الحوار – كذلك – إذ لم ينبه عليه أحد .

أما الآية الأخرى التى استشهدوا بها وهى قوله تعالى : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾ فما داموا هم قد ارتضوها شاهدا - كذلك - فليسمعوا دلالاتها: وهى : لا صلب ولا قتل وقع على عيسى عليه السلام، بل نجاه الله من ذلك كله، ورفع عيسى فوق مكرهم وكيدهم .

وهاتان الآيتان، هذه والتى تقدمتها دلالتهما هكذا :

« لا قتل ولا صلب، ولا ميلادان، ولا موتان ولا بعثان » فإذا رفضتم هذه « المعطيات » فما لنا معكم إلا هذا القول :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل ؟!

* * *

علامات استفهام ...؟؟؟

بدت لنا، ونحن نمارس حقنا فى مواجهة هذه الوثائق الثلاث. علامات استفهام من الأحرى إبرازها استكمالا لصور المواجهة نفسها وبعض هذه العلامات سنجيب عليه بأمانة، أما البعض الآخر فسنكتفى بمجرد تصوره، لأننا لا نملك الإجابة عليه، أو نملكها، ولكن بقاءه - هكذا - استفهاما - بلا جواب - هو الجواب نفسه ..؟!

وأولى علامات الاستفهام هذه، هى :

● **كيف بدأت هذه الوثائق؟ وكيف انتهت ..؟!**

الجواب :

● كان قصارى جهد الوثيقة الأولى أن تبرز أهم العقائد التى يخالف الإسلام فيها النصرانية، ثم تقيم الدليل على صحتها بآيات من القرآن نفسه كعقيدة سلامة الكتاب المقدس من التحريف، وعقيدة التثليث، وألوهية عيسى عبدالله ورسوله. وقد مارست الوثيقة نوعا خفيا من التعريض برسول الإسلام، وبعض العقائد الإسلامية التى ذهب إلى التدليل على صحتها؟!

● ثم بدأت الوثيقة الثانية - كتاب الاستحالة - بنفس القضايا التى أثارها البابا فى مقاله. ولكنها عمقت ووسعت دوائر الحديث عنها. ثم أضافت إليها قضايا أخرى لم ترد فى المقال. وأكثرت من سوق النصوص الإسلامية قرآنا فى الأغلب، وأحاديث شريفة، وأقوالا لمفكرين إسلاميين، وخاصة المفسرين، ثم عمدت إلى بعض صور العقائد والعبادات والمعاملات الإسلامية وادعت أنها تقوم على أساس «التثليث» النصرانى وقد سبقت مواجهتنا لهذه الادعاءات كلها فى مظانها.

وأبرز ما فى هذه الوثيقة التعريض برسول الإسلام، وببعض خصائص الإسلام نفسه. وقد تكفلت بتجسيم شأن هذا التعريض الجداول التى عقدها مخرجو كتاب الاستحالة للمقارنة بين موسى ومحمد، من جهة، وعيسى ومحمد من جهة أخرى. عليهم صلوات الله وسلامه جميعا، ثم المقارنة بين عقائد وتشريعات الأناجيل، وبين خصائص الإسلام وتشريعاته. والمقارنة بين مواضع فى التوراة وأخرى من القرآن الحكيم مدعين أن القرآن اقتبس تلك المواضع من التوراة، ومواضع من الأناجيل وأخرى من القرآن بين القرآن والتوراة، أو القرآن والأناجيل ؟!

على أن وجه التعريض - هنا - قد كان سافرا إلى أبعد الحدود، ولكنه مغلف بغشاء رقيق من الحيطة والتذاكى.

وإذا كانت الوثيقة الأولى قد سبقت فى الترتيب الزمنى. الوثيقة الثانية فإن الوثيقة الثانية قد سبقت الوثيقة الثالثة فى الترتيب الزمنى أيضا.

● وأبرز ما فى الوثيقة الثالثة هو التعريض برسول الإسلام. وهو تعريض وقح بلغ من السفاهة حدا ملحوظا. وقد أشرنا إلى أسس المقارنة الأربعة التى ابتكرتها هذه الوثيقة وأدارت الأمر عليها. وهذه المقارنات جميعا سواء ما ورد منها فى كتاب الاستحالة، أو وثيقة أى الاثنين أقدر؟! فأن رسول الإسلام فيها هو «الخاسر» إذا كانت المقارنة بينه وبين موسى أو عيسى عليهم السلام. والقرآن هو «المدان» إذا كانت المقارنة بين القرآن والتوراة، أو القرآن والأناجيل ؟!

وبناء على هذا - وغيره - فإن الوثائق الثلاث تبنت فكرة التعريض بالإسلام ورسوله . هادئة فى الأولى - صاخبة فى الثانية، وقحة بذيئة فى الثالثة..؟ وهذا يسلمنا إلى علامة الاستفهام الثانية. وهى :

● **ما أوجه التشابه - بعد - بين هذه الوثائق الثلاث ..؟!**

والجواب :

أن أوجه التشابه بين هذه الوثائق الثلاث وثيقة العرى . وأبرزها أنها تحاول نصرة «شىء» على حساب «شىء» آخر. وأنها فى سبيل الوصول إلى هذه «النصرة» عدت على «سلاح» من أرادت خذلانه واستعملته لنصرة من أرادت نصرته. فما من وثيقة منها إلا وعدت على نصوص القرآن الحكيم. فأخذت منها ما توهمت أنه «ناصرها» وتركت منها ما اعتقدت أنه «خاذلها» بل أن فيها - جميعا - نصوصا وردت بعينها لم تخل منه وثيقة منها .

وهى حين عدت على تلك النصوص حرفت معانيها لتخضع لمرادها فى غير حياء أو ضبط. على أن الخط الفكرى هو الرابط لأطوار هذه الوثائق جميعا وأن اختلفت الأساليب الجزئية من وثيقة إلى أخرى مع ملاحظة أن الوثائق كلها، يخيل إليك[1] أن واضعها واحد ظهر فى أدوار مختلفة حسب خطة «المخرج» إذ أن الصراع فى الوثيقة الثالثة قد بلغ حد «الالتهاب» وقد ساعد عليه أنها لم توقع من أحد معين. فهى «قذيفة» أطلقها مجهول متوار فى الظلام، ولهذا فإنه استباح لنفسه ما لم تستبحه الوثيقتان الأولى والثانية لأن مصدريهما معلومان ؟!

---

(١) ونأمل أن يظل الأمر فى دائرة الخيال .

● **أما علامة الاستفهام الثالثة والأخيرة هى:**
ولماذا الإسلام والمسلمون ؟

نعم. لماذا الإسلام والمسلمون؟ هل هم أشر من فى الأرض؟ لكى يعلن ضدهم الجهاد المقدس، أو هل هم ظلموا أحدا فهو يثأر لنفسه ليقتص لها منهم قصاصا عادلا..؟!

أما كان أولى بهذه الجهود أن توجه لمحاربة الالحاد والفساد المستشرى فى الأرض؟! أما كان أولى بها أن توجه لمحاربة الفقر، والمرض، والجهل وهى ميادين فسيحة لكل جهد مبذول، وعمل مشكور؟! أكل من على الأرض صالح إلا المسلمون فهم المفسدون؟! أكل النظم عادلة مستقيمة إلا الإسلام فهو المعوج ؟!

لماذا هذا كله ضد الإسلام والمسلمين ، وهم يعترفون لغيرهم بأنهم أهل كتاب لهم حقوق لا تمس: وحرية اعتقاد وعبادة لا تصادر. أجزاء الإسلام على اعترافه هو التنكر له، وعلى عدله هو الظلم له، وعلى تسامحه هو التعصب ضده ..؟!

إن كان لابد للنصرانية أن تنمى أعداد متبعيها فهناك دول يبلغ سكانها الملايين كانوا نصارى فالحدوا. فعلى جهود المبشرين أن توجه إليهم لتعيدهم من إلحادهم إلى دين آبائهم، وهو هدف – لو تحقق – فالكسب فيه مشروع .

وهناك بقاع فى الأرض فيها من خلق الله الكثيرون، يعيشون هملا بلا عقيدة صحيحة فليولوا وجوههم شطرها، ويحولوا ميدان التنافس إليها . ولو أنهم فعلوا لما لامهم أحد .؟!

إن الذى لا نفهمه، ولا نقبله أن نسلب حقا نحن نقر « خصومنا» على مثله. ولا نرى لهم علينا إلا المعاملة بالحسنى، مادمنا على وجه الأرض أحياء. تاركين سلطة الفصل فيما نختلف فيه لله وحده. فهو وحده المختص به: ويوم يفصل ، تجف الأقلام، وتطوى الصحف، ويقضى بينهم بالحق. ويقال الحمد لله رب العالمين.

* * *